

الشخصية كذات: المظهر الخارجي:

كنت قد تناولت في الفصل السابق تحليل النموذج العاملي ومكانه في مسار توليد المعنى، وفيه رصدت تحول الفكرة المجردة إلى عنصر مكون مدرك من خلال تجليها في النص، فكانت بداية التشخيص. فبعد أن تم النظر في هوية الشخصية كعامل تقوم بمجموعة من الأفعال مع شخصيات أخرى في الحكى ، ها أنا الآن أمعن النظر في الشخصية كذات، وهذا من خلال مظهرها الخارجي وسماتها الشخصانية والدلالية، إلا أنني سأكون حذار وأنا أقدم على ذلك كيلا يتم الخلط بين الشخصية في الحكاية كعلامة "personnage"، والشخصية في الواقع كـ "personne"، فالأولى تحيا في حدود النص الحكائي، حينما يملأ السواد البياض فتتجزأ اللغة ككائن من ورق بينما تكون الثانية في الحياة، ولا يمكن أن تقيدها قيود أو تحددها حدود الأولى، لأنها بكل بساطة خارج مجال التخيل وكما قال "ميشال زيرافا" "Michel zeraffa" " أن بطل الرواية هو شخص "personne" في الحدود نفسها التي يكون فيها علامة على رؤية ما للشخص⁽¹⁾.

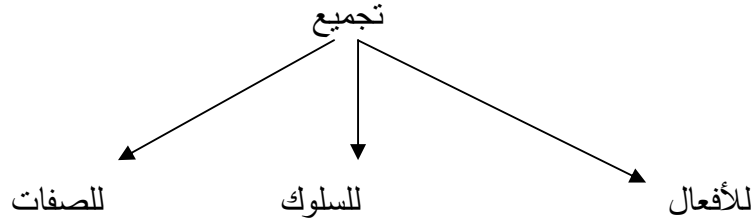
وهذا ما يدفع للقول بأن بناء الشخصية يشترك أيضا في انجازه القارئ في الحدود التي لا يتدخل فيها الكاتب، وحتى في الوضع الذي يتدخل فيه الكاتب، فإن القارئ يسهم في بنائها من خلال ثقافته وخبرته بالحياة ومعرفته بالعالم، وهذا ما عبر عنه "فيليب هامون" عندما ذهب إلى "أن الشخصية في الحكى هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"⁽²⁾.

ومعنى هذا أن ظهور الشخصية في بداية الرواية يكون فارغا من أي محتوى دلالي، إنه أقرب إلى بياض ثم يأخذ هذا الظهور بالامتلاء نتيجة أفعال الشخصية وتحركاتها وعلاقاتها مع شخصيات أخرى، مما يعطيها أبعادا معنوية ودلالية في كل مرة.

فالشخصية تتحقق في النص من:

(1) - نقلا عن: حميد لحميداني : بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص50.

(2) - المرجع نفسه، ص 50.



والشخصية لا تكون إنسانا دائما، بل قد تجسدها شخصيات اعتبارية تمثل مفاهيم معنوية مجردة. ولهذا فالشخصية كمكون سردي ليس لها وجود مستقل عن دلالتها، وكما يرى "غريماس" فإن " النموذج العالمي لا يشكل داخل الكون السردى تنظيما استبداليا لسلسلة من الأدوار تقوم بأدائها كائنات ما فحسب، إنه أكثر من ذلك، إنه مرحلة محددة داخل مسار يقود من المجرى إلى المحسوس (1) "

وفي دمج هذين التصورين في تحليل متون الروائي "إبراهيم سعدي" سيزيل ذلك القصور وهذا بتوحيد فعل الإبداع وفعل القراءة لنصل في النهاية لتشكيل عالم مشخص كإنتاج إبداعي متخيل مضاهي للعالم الواقعي . فالشخصية كائن من ورق ومعطى نصي ينجزه صوت السارد ولا وجود له ولا امتداد خارج حدود بنية النص المسيجة .

1- الشخصيات المرجعية:

تحليل الشخصيات المرجعية على مدلولات محددة ، فتشع من خلال أسمائها لتوحي للقارئ بما توحي من معاني مكثفة، وبما تحمله من إشارات تاريخية أو اجتماعية أو أسطورية. وما يجب التذكير به هو أن بناء الشخصية لا يتم دلاليا إلا بعد إكمال كافة حلقات السرد الروائي فيتم التعرف على الصورة الكاملة والمميزة لكل شخصية " فعلية التمييز إذن تخضع من جهة

(1) - نقلا عن: سعيد بنكراد: سيميولوجية الشخصيات السردية، مرجع سابق، ص 70.

لمقتضيات الامتداد النص، أي ما يربط بين لحظة البداية كانتشار سردي ممكن وبين لحظة النهاية كإشعاع لهذا الانتشار، وتخضع من جهة ثانية لمقتضيات الاشتغال الذاتي⁽¹⁾.

فالشخصية ينظر لها كعلامة، وبما أنها تظهر في عالم مغلق يتجاوز عناصره العناصر الأخرى المشكلة للبناء، لتمثل عنصرا متباينا في علاقته بها، وعلى هذا ينهض المعنى في النص، وما يهم في هذه المقاربة هو التركيز على التوظيف الأدبي والاجتماعي لتلك المرجعيات في الروايات موضوع الدراسة، فهي تمتح من تلك المرجعيات فتوظفها قيميا ومرجعيا، لتحقيق التواصل مع القارئ والمرسل إليه، ومن مضمون البنية السردية كحامل تلك المرجعيات، ومن منظور تشكل بنية الشخصيات كمجسد لهذه المرجعية أو تلك، وعلى ذلك يتأسس نسق خاص عن أوضاعها الاجتماعية وخصائصها الفكرية والنفسية في السرد، وبالاستناد إلى معرفة المتلقي بالعالم وبما يحمله من حمولات دلالية .

وهذه الشخصيات المرجعية لها مفاهيمها المحددة سلفا لأنها معروفة بعلامات مسجلة وثابتة خارج النص الروائي، ويمكن الرجوع إليها موثقة في المصادر والمراجع، وليس لأي كاتب الحق في التصرف في هويتها أو في مرجعيتها التي عرفت بها، ومع ذلك يحاول توظيفها لتؤدي معنى، وتسهم في تسليط الأضواء على مضمون النص. ولقد صنف "فيليب هامون" الشخصيات المرجعية إلى:

شخصيات ذات مرجعية تاريخية بكل اشتقاقاتها وتنوعاتها السياسية والثقافية ولا يخفي على القارئ ذلك التداخل أو الترابط الوثيق بين هذه المرجعيات التي تشير إلى معنى تؤسسه الثقافة التي تنتمي إليها تلك المرجعية، والجدير بالملاحظة أن البحث ركز على تلك التي حظي توظيفها بدلالة، أو ارتبطت بها شخصيات أدبية فأثرت بالتالي في سيرورة الحوادث الروائية، وقد ورد ذكر أسماء هذه الشخصيات أو أسماء هيئات من خلال أعمال أنجزتها في السابق من غير أن تشارك في

(1)-المرجع السابق ، ص 115.

الحوادث. فمن خلال وجودها في الملفوظ الروائي نجدتها تتأسس بمرجعيتها في الإطار الثقافي للأمة⁽¹⁾. و الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية تحيل على نماذج اجتماعية معروفة بسماتها وأفعالها في مجتمع واقعي له وجود حقيقي، فتشير إليه عبر ذكرها كقننة اجتماعية معينة .

ومن الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية في رواية " المرفوضون " :العمال العرب ويمثلون شخصية أدبية واجتماعية لها مرجعيتها بما تحمله من معاني تحيل على عالم دلالي، ومع أنها ليست تامة وثابتة ومحددة سلفا كالشخصيات التاريخية، إلا أنها تأخذ في التشكل بالتدرج وتكتمل

باكتمال الرواية والمرجع في ذلك مدى معرفة المرسل إليه بالأشياء والنظائر في العالم الخارجي يظهر العمال العرب المهاجرون عند الفجر في وقت يكون فيه الناس عادة نائمين و"أغلبهم من كبار السن يحملون شوارب كثيفة، وتتبعث من عيونهم نظرات خائبة، كانوا يرتدون ثيابا متواضعة جدا، ثياب قديمة وكثيثة(...). تلك المظاهر التي تجعلهم يبدوون كأشباح غريبة نائمة"⁽²⁾

والمجتمع الفرنسي محل إقامة للعمال العرب، ولذلك ينذر منهم وينبذهم ولا يرغب في الاحتكاك بهم وينظر إليهم بفوقية ف"هؤلاء الغريباء هم الذين يحس الفرنسيون إزاءهم بالخوف والقلق(...).ويعملون على تجنب الأماكن التي يرتادونها، ويستأعون أشد الاستياء حينما يقطنون بالقرب منهم ويعتبرون ذلك دليلا مؤلما على مدى انخفاض مستوى معيشتهم"⁽³⁾.

ومن الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية باعتبارهم يمثلون شريحة اجتماعية معروفة بعلاماتها المرجعية الحقيقة النازحون الأفارقة في رواية " بحثا عن آمال الغبريني " فهؤلاء تبدو على وجوههم وأجسادهم مظاهر الشقاء وبصورهم السرد تصويرا حقيقيا "تلك المخلوقات الهائمة ذات الأجسام النحيفة والطويلة والخطوات البطيئة والوجوه الحزينة التائهة المقلقة المريبة والمحمومة ذات اللهجات

(1) - فليب هامون : سميولوجية الشخصيات الروائية، مرجع سابق ، ص 24

(2) - إبراهيم سعدي : المرفوضون(رواية) ، مصدر سابق ،ص29.

(3) - المصدر نفسه ، ص،29،30.

الباب الثاني /الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

غير المفهومة (...). الذين فرقت بينهم الحروب القبلية وشتتهم الجفاف والجوع وفتك بهم الوباء واضطهدتهم الحكومات⁽¹⁾. ومن ذلك أيضا النساء الإفريقيات الوافدات إلى الجزائر هاريات من جحيم المجاعة والحروب الأهلية اللاتي اضطرن لممارسة البغاء في "حي الأندال" بسبب الظروف القاسية التي عانين منها في أوطانهن الأصلية "تلك النساء العاريات إلى النصف الواقفات عند مدخل الأكواخ(...). كان واضحا بأن الأمر يتعلق بما خور وبان تلك النظرات النسوية التعيسة والحزينة تلمع بالغواية والإغراء"⁽²⁾.

ولا يمكننا أن نتجاهل صورة السكان والأهالي لتلك المدينة الجزائرية الذين لهم أيضا مرجعيتهم الوثائقية والاجتماعية المعروفة وسجلتها لهم أشرطة التلفزيون من صور واقعية، فلا نراهم إلا بمنظر بائسة "فالأطفال شبه العراة ذوو الأجسام الضامرة المغطاة عيونهم وأفواههم بالذباب والصمت والبؤس، ذلك الرجل المثلث الأسود البشرة مثل بقية سكان ذلك المكان الضائع(...). الذي يصنع خواتم نحاسية في الجانب المغطى بالضل من محله ذي المدخل العديم الباب"⁽³⁾.

ومن الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية تشير رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" إلى الشباب المتظاهرين في حوادث أكتوبر شباب، ولد في زمن الأزمة وعاش نتائجها، لا تراهم إلا مجتمعين متكئين على الجدران يحلمون بمستقبل واعد ينظرونه دون كلل أو ملل، حتى أضحى الوقت لا قيمة له في نظرهم يقول عنهم الدكتور الحاج "منصور نعمان": "استطعت أن أميز بعض الوجوه التي كان يحدث لي من قبل أن أرى أصحابها يتكئون على الجدران، ينظرون إلى الوقت وهو يمر مستغرقين في انتظار سفينة خرافية لتحملهم إلى مواطن بعيدة إلى مواطن أحلامهم التي طالت إلى حد القرف والجنون"⁽⁴⁾، ازدادت أعدادهم بشكل متواصل فتجدهم في كل مكان وينتمون لكل الفئات

(1) إبراهيم سعدي : بحثا عن آمال الغبريني (رواية) ، مصدر سابق ، 177، 176.

(2) - المصدر نفسه، ص 214.

(3) المصدر نفسه ص، 157.

(4) - إبراهيم سعدي: بوح الرجل القادم من الظلام(رواية)، مصدر سابق ، ص، 295.

والتوجهات تراهم في "المساجد والطرق والاماكن العمومية صارت خاصة بهم حينما التقت المرء لا يرى تقريبا غير الشبان بأقمصة بيضاء ولحي سوداء وشاشيات بيضاء (...). عمال مطرودون من المصانع (...). لا يجدون ما يعيلون به عائلاتهم"⁽¹⁾.

لم يبق الأمر على هذا الحال سرعان ما تأزم الوضع المكفهر المشحون، فالدلائل توحى بأن الوضع على وشك التفجر، وحدث ما كان متوقعا لقد خرج هؤلاء للشارع متظاهرين ساخطين مكسرين كل ما يجدونه متحدين رجال الأمن يقول الحاج "منصور نعمان" في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام": "وسط ذلك الهواء الخانق المشحون بدخان العجلات المطاطية المحروقة وبالغازات المسيلة للدموع رأيت مجموعة من الشبان مستغرقين في دفع سيارة محطمة نحو وسط الطريق، عدد آخر منهم راحوا يرشقون رجال الأمن بالحجارة وبأشياء أخرى (...). من مكاني أبصرت رجال الأمن بخوذاتهم ودروعهم وواقيات وجوههم وهراواتهم يركضون وهم يلقون قنابلهم"⁽²⁾.

ومن الشخصيات الاعتبارية ذات المرجعية الاجتماعية الدينية في رواية "فتاوى زمن الموت" نذكر: "جماعة الدعوة والتبليغ" حيث تحددت كمنظومة مؤطرة لفعل الأفراد المنضوين تحت لوائه، فتركت آثارها في حياة الناس، ولذلك فالإشارة إليها مهمة في مجال ذكر حدوث التغيير الاجتماعي والديني في الحي . و"جماعة الدعوة والتبليغ" حركة إسلامية صوفية متجولة تنتمي إلى أهل السنة والجماعة، وأسلوبها هو عدم الخوض في الخلافات المذهبية وتقوم على الرفق واللين والترغيب، والترهيب والتأثير العاطفي في الناس ودعوتهم إلى الله بالحسنى، و تبليغ من لم تبليغه دعوة الإسلام من غير المسلمين، ودعوة المسلمين العاصين إلى إقامة أركان الدين. والمنتمون إلى الجماعة ليست لهو توجهات سياسة، فاهتمامهم الأول هو إصلاح المجتمع وتربيته، فالسياسة هي ترك السياسة

(1)-المصدر نفسه،ص268.

(2) - المصدر نفسه،ص292،293.

الباب الثاني /الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

والسير على نهج السلف الصالح كما يقولون.ولا يهتمون بأمر الدنيا ولا يتنافسون فيها، فلا يجب على المرء أن تغريه قوته ولا ماله ولا جاهه ولا علمه.

ولقد أشارت رواية "فتاوى زمن الموت" إلى هذه المضامين بالقول: "كان دعاة هذه الجماعة يركزون على الجانب الديني البحت داعين إلى الابتعاد عن السلطة،والى عدم الاهتمام بأمرها،لكنهم كانوا يقولون بأن الناس عادوا إلى الجاهلية وقد ظهرت هذه الحركة في الحي من خلال دعاة غرباء،ذوي ثقافة محدودة ومظهر بسيط (...).كانوا يتصلون بالناس في انفراد أو في جماعات صغيرة يخاطبونهم برفق وهدوء(...). داعين إياهم إلى إقامة الصلاة والصوم والى السير في حياتهم على هدى الشريعة"⁽¹⁾.

والشخصيات الأسطورية هي شخصيات خارقة تؤدي أعمالا غير مألوفة كالأولياء والجن والشياطين،و لا تستطيع الشخصيات العادية القيام بها.ومن خلالها يفسر ما استعصى من أسرار الحياة مما يتعلق بالعقائد الدينية والأحوال الاجتماعية، باعتبارها مصدر الخير والشر وموطن الآمال والأحلام التي يتطلع لها الإنسان.ومن هذه الشخصيات :

الولي الصالح سيدي بلال:وهو شخصية ذات مرجعية دينية أشار لها الملفوظ الروائي في رواية " بحثا عن آمال الغبريني"، وذكر الحفل السنوي الذي يقيمه الأهالي احتفاء به وتكريما لذكراه، لذلك يقبل الناس من كل المناطق للتبرك به ورجاء شفاعته، كما هو شائع في المعتقد الشعبي باعتباره وليا من أولياء الله الصالحين، فأقام له الأتباع ضريحا في قلب الصحراء،وطلي بالجير الناصع البياض،كما تتحرر الجزور ويقدم "طعام الكسكسي المغطى بقطع اللحم".⁽²⁾للزوار في حفل فلكلوري وشعبي بهيج.

(1) - إبراهيم سعدي: فتاوى زمن الموت (رواية)، مصدر سابق ، ص73،74.

(2) - إبراهيم سعدي : بحثا عن آمال الغبريني(رواية) ، مصدر سابق ، ص،129.

الباب الثاني /الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

وللشخصيات التاريخية مرجعيتها المحددة سلفا، لأنها معروفة بعلامات مسجلة وثابتة، ويمكن الرجوع إليها في المصادر والمراجع للتأكد من صحتها ومدى مطابقتها ذلك مع ما ذكر بشأنها من أخبار في الأثر الأدبي .

الجهة الإسلامية: وهي شخصية اعتبارية ذات مرجعية سياسية واجتماعية وتاريخية يرد ذكرها في معرض الحديث عن انتقال "موسى" من حركة الدعوة والتبليغ إلى "الجهة الإسلامية للإنقاذ". والجهة لها مرجعيتها التاريخية والسياسة في المجتمع الجزائري، وهي حزب سابق تأسس في شهر مارس 1989 بعد التعديل الدستوري الذي أباح التعددية الحزبية، ولقد قبلت الحكومة اعتماده في شهر سبتمبر 1989. وللجهة ارتباط تاريخي بالحركة الإسلامية ببعديها الجزائري والعالمي وبالحركة الوطنية كما أشارت لذلك أدبيتها. وقد انخرط فيها الكثير من شباب الحي وعلى رأسهم "موسى" فكان آنذاك قد أصبح عضوا نشيطا في الجهة الإسلامية التي ترشح بعد ذلك في إحدى قوائمها أثناء الانتخابات التشريعية، وفاز بمقعد في البرلمان، لكن الانتخابات ألغيت وحزبه حل⁽¹⁾. وبذلك دشنت المأساة الجزائرية فظهرت سنوات الجمر والدموع والدماء.

و هناك شخصيات ذات مرجعية ثقافية أو دينية، وهي حاضرة في الملفوظ دون التلطف فلا تؤدي فعلا أو قولاً، ودائماً يرد ذكرها على لسان شخصية من الشخصيات الحاضرة. ذكرت في رواية "فتاوى زمن الموت" الكثير من أسماء هذه الشخصيات في معرض الحديث ك"فرقة المعتزلة" "الفيلسوف ابن رشد"، "الإمام أبو حامد الغزالي"، "ال خليفة" عمر بن الخطاب"، "أبو ذر الغفاري"⁽²⁾.

كما تشير رواية "بحثاً عن آمال الغبريني" لرقصة "زوريا" في معرض الحديث عن رقصة مشابهة لها أداها "سحنون جنجن".

(1) - إبراهيم سعدي: فتاوى زمن الموت (رواية) ، مصدر سابق، ص، 117.

(2) - المصدر نفسه، ص، 209.

ف"زوربا" انقطع للعمل ولم يقرأ الكتب، رجل مضحك بدائي لا يفكر إلا في اللحظة الآتية، كل وقته سخره للحياة واللهو والعمل، يرقص على آلة "السانتوري". أن يرقص المرء رقصة "زوربا" معني ذلك أن يصل إلى النشوة القصوى والتخلص من كل مانع داخلي أو خارجي وسط الدمار والألم. ويمسك بالأرض التي يقف عليها.

ويرد في رواية "بحثا عن آمال الغبريني" ذكر "قصة الشيخ والبحر" "لارناست همغواي"، فقد استقطبت اهتمام "المهدي" وهو ينتقل في شوارع المدينة الصحراوية الجزائرية، فيمر بمكتبة أين يرى هذه الرواية معروضة وباللغة الأصلية التي كتبت بها، فالقصة كذلك سيئة الحظ لوجودها في بيئة غير البيئة التي تصورها. ولعل وجودها في هذه اللحظة كشف عن تعالق مضمونها بحياة "المهدي"، فصراع "سنتياجو" السيئ الحظ مع الحياة في أواخر أيام حياته له ارتباط بحياة "المهدي"، ف"المهدي" أضاع "آمال" التي صار يحلم بالحياة معها للأبد بعدما تعرف عليها وعاشها مدة في فندق الجنوب، كما أضاع الصياد السمكة التي يحلم بها، ونجد ذكر "رواية الطاعون" "لالبير كامو" في الرواية، وهي تطرح فكرة إنسانية طالما واجهها الإنسان ممثلة في المعاناة من مواجهة الموت ممثلا في الطاعون كمصير محتوم لكل إنسان، وكل كائن حي، لكن الناس يقررون مواجهة هذه الجائحة بإرادة وعدم قبول الهزيمة، رغم إدراكهم بأنهم زائلون لا محالة. ويفعلهم هذا يصنعون وجودهم ويكرسونه بالتفاؤل وسط الوضع القائم في ظلال الموت واليأس فالمعاناة وإن كانت فردية فهي من صمم المعاناة الاجتماعية الكاملة المحكومة بالعبثية في المقام الأول، لذلك قام سكان "وهران" بتحديدها في هبة واستجابة جماعية تعكس مبدأ التمسك بالحياة، تلك الاستجابة التي لم تتحقق بعد في مواجهة التعدي على الحق في الحياة بارتكاب المجازر في حق الأبرياء بلا أسباب وبلا معنى في الفضاء الذي ترصده رواية "بحثا عن آمال الغبريني" بحيث لم يقم الناس بهذا الدور.

ومن الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية على الصعيد الثقافي المحلي في رواية "بحثا عن آمال الغبريني"، نجد في أقصى الجنوب الجزائري الفرقة الفلكلورية التي أحييت الحفل الديني للولي الصالح

"سيدي بلال" رجالها "التوارق" الملثمين المرتدين لملابسهم التقليدية السوداء والزرقاء والحاملين للسيوف، وهم يؤدون رقصات المتقاتلين على إيقاع الطبول الصادرة عن نسوة متلفعات بالسواد، ومتحليات بالحلي البربرية، وهناك أيضا فرقة "سيدي بلال" المكونة من رجال سود البشرة بيض الثياب، وهم يرددون في حلقات الذكر وبلا انقطاع اسم الله واسم الرسول وترى أيضا في الحفل نساء جالسات على الرمل في صف واحد بشعر طويل يحجب وجوههن ويتمايل نصفهن الأعلى على الإيقاع المحموم⁽¹⁾.

ومن الشخصيات ذات المرجعية الفكرية، والسياسية، والثقافية في التاريخ الحديث تشير رواية "بوح الرجل القادم من الظلام"، في معرض حديث "منصور" إلى "سيلين" الفتاة اليهودية الماركسية التي عملت على تكوينه سياسيا لزعماء الفكر الشيوعي يقول: "كانت سيلين منشغلة بتكوينها السياسي كانت لا تفتأ تحدثني عن "ماركس" و"لينين" وعن "تروتسكي" و"روزا لوكسبورغ"⁽²⁾.

ومن الشخصيات ذات المرجعية الثقافية ذكرت رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" شخصية "إيتيان دينيه" وهو فنان ولد سنة 1706 عرف باهتمامه بالرسم الاستشراقي في لوحاته التي سجلت أصالة الحياة الجزائرية خلال الفترة التي عاشها في جنوب الجزائر يقول "منصور" بعدما غادرت السيدة "كلير ريديمان" الجزائر وتخلت له عن "فيلاروز": "كانت لوحة الرسام "إيتيان دينيه" الممثلة للنساء أولاد نايل الموشمات الوجه المرتديات ثيابا تقليدية المحملات بالحلي لا تزال تزين القاعة"⁽³⁾.

2- الشخصيات الأدبية:

(1) - ينظر: إبراهيم سعدي: بحثا عن آمال الغبريني (رواية)، مصدر سابق، ص 127، 128.

(2) - إبراهيم سعدي: بوح الرجل القادم من الظلام (رواية)، مصدر سابق، ص 147.

(3) - المصدر السابق، ص 66، 67.

تعتبر الشخصيات الأدبية من إنشاء الكاتب، فلا وجود لمرجعيتها خارج الأثر الأدبي بل إنها ناشئة عنه وكامنة فيه، ولهذا فهي لا تشير لشخصية معينة في الواقع، ويتطلب التعرف عليها قراءة النص الروائي كله. والشخصيات الأدبية تصنع الحوادث وتشارك فيها على مستوى الفعل وعلى مستوى العمل أو على المستويين جميعاً، وقد صنف "فيليب هامون" الشخصيات الأدبية إلى صنفين. صنف يمثل وسائل تدل على حضور المؤلف أو من يمثله في النص وتعمل على تطور الحوادث، و صنف متكرر وله وظيفته تنظيمية، فيقدم من خلال التذكر والاستحضار، ويمثل حلقة تواصل بين المقاطع المنفصلة في الرواية، مما يقوي ذاكرة القارئ ومن خلالها ينهض الاتساق والانسجام النصي.

ويعتمد في رسم الشخصية مبدأ التدرج من العام إلى الخاص ومن المظهر الخارجي إلى الداخلي باعتماد الراوي تقنية التدخل المباشر أو طريق التفسير أو من خلال حضور وجهة النظر الخارجية

فالشخصيات في روايات "إبراهيم سعدي" أدبية وهي من وحي خيال الكاتب، فلا وجود لها في الحقيقة، وقد أراد بها التعبير عن الواقع ورصده في فترة اجتماعية وحياتية معينة. فالشخصية الأدبية لها مرجعية الواقع وتحمل إشارات لمعان، فتحيل على مدلولات محددة، وهذا التحديد والإحالة ليس سابقاً للعمل الروائي، إنها مزامنة للعمل ومتولدة عنه، فهي كلها من صنع المؤلف ويرى "فيليب هامون" أن سمة الشخصية "ليست من المعطيات الأولية أو الثابتة (...). لكنها بناء يتشكل تدريجياً (...). وتسجيل في الذاكرة وإعادة تركيب يقوم بها القارئ"⁽¹⁾.

فرسم الشخصية يشارك فيه القارئ بناء على معرفته بالعالم، كما أن ذلك لا يتكون دفعة واحدة، بل أن البناء الدلالي للشخصية وصفاتها ومؤهلاتها في كل رواية، لا ينجز مكتملاً إلا في الصفحة الأخيرة من العمل الروائي، ويستعمل اللغة لإظهار تلك الصفات والمؤهلات التي تميزت بها كل

(1) - نقلاً عن: إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي، مرجع سابق، ص 161.

شخصية " والغرض من ذلك تحديد هويتها وسماتها، فإن الشخصية كائن من ورق وأداة من لغة".⁽¹⁾

2-1-المظهر الخارجي

تتمظهر في الشخصية كل الأفعال لأنها سندها وحاملها، ويتحدد المظهر الخارجي بما تتصف به الشخصية من سمات شخصية ومعنوية في السرد الروائي، من اسم ومظهر وطبع تظهر آثاره في علاقات الشخصية، وفي ما تقوله الشخصيات الأخرى عنها، بتأزر العلامات المشعة في العمل على المستوى الأفقي ثم العمودي يمكننا من تكوين صورة معنوية عن الشخصية بجمع تلك العلامات المتناثرة في النص، لنتمكن في النهاية من تحديد الأدوار الموضوعاتية لكل شخصية فاعلة في سير الحوادث الروائية، ويمكن تحديد المظهر الخارجي للشخصيات في المتون الروائية لـ"إبراهيم سعدي" فيما يلي:

2-1-1-الرجال:

ولنبدأ أولاً برواية "المرفوضون" فـ"أحمد" واحد من هؤلاء العمال العرب في المهجر الفرنسي، ويمكن أن نحدد ملامح شخصيته من مظهره الخارجي، فهو في الأربعين من عمره وقد بدأ الشيب يغزو رأسه مما يكشف عن أنه أخذ يتقدم في العمر⁽²⁾، يحاول "أحمد" دائماً أن يبدو أنيقاً حتى يبعد عن نفسه رذالة وعنصرية الفرنسيين، وملامحه كانت لا توحى بأنه جزائري فقد "كان يحمل وجهها لا يتبين من الوهلة الأولى البلد الذي ينتمي إليه"⁽³⁾، أما جسمه فكان نحيلاً لا يقارن بقوة "أندريه" الذي كان يعادل مرتين أو ثلاث مرات وزن أحمد.⁽⁴⁾

(1) عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة، مرجع سابق، ص 147.

(2) - ينظر: إبراهيم سعدي : المرفوضون(رواية) ، مصدر سابق ، ص 113، 175 .

(3) - المصدر نفسه، 12.

(4) - المصدر نفسه، 12.

تعرض "أحمد" لعنصرية الفرنسيين المتعصبين، فشتموه في الشارع وضربوه حتى شوهوا معالم وجهه لدرجة أنه لم يصدق بان ذلك الوجه المتورم المشوه المنعكس على المرآة التي كان يحرق فيها هو وجهه"⁽¹⁾.

"برنار": الجندي الفرنسي القتل في حرب التحرير الوطنية الجزائرية، بالرغم من عدم حضوره على مستوى حوادث الرواية، إلا أنه حاضر بذكراه بقوة في السرد، فيوصف بكثرة من "ماري" و"جان" تبدو ملامح وجه "برنار" من صورته المعلقة على الجدار بوجهه الوديع "ونظرته وابتسامته الهادئتين"⁽²⁾. ويمكن أن نكون انطبعا على برنار من صورته تلك ف"نظرته تبدو حالمة وابتسامته خجولة"⁽³⁾.

"جان": رقيب في الجيش الفرنسي يصفه "برنار" في رسالته لـ"ماري" رجلا ضخم الجسم بوجه عريض قاس الملامح به شفتان صارمتان وعينان زرقاوان تتبعث منهما نظرات حادة⁽⁴⁾.

"مماو": رجل سنغالي عسكري بسيط جندته فرنسا في حرب الهند الصينية وفي حرب الجزائر

كان في منطقة بلعباس، أصيب في الحرب في فخذ الأيمن، كما فقد أصبع يده برصاصة⁽⁵⁾.

وفي رواية "النخر" وبالنظر في تواتر ذكر أسماء الشخصيات الرجالية، التي شكلت بحضورها

أو غيابها تأثيرا في حياة بقية الشخصيات نذكر:

شخصية "دحمان": تواتر ذكره في الرواية ما قدرته بخمس وعشرين مرة .

تبدو لنا صورة شخصية "دحمان" في الماضي في الصورة التذكارية القديمة للعائلة زمن تماسكها

وسعادتها آمنة مطمئنا، تفتر شفتاه عن ابتسامة هادئة، تشع في عينيه نظرة واضحة واثقة لا تخلو من

تعبير الطيبة والحنان.⁽¹⁾

(1) - المصدر نفسه، 9.

(2) - المصدر نفسه، 43.

(3) - ينظر : المصدر نفسه ، ص، 67.

(4) - ينظر المصدر نفسه ، ص 66

(5) - ينظر: المصدر السابق، ص80.

كان عندما أحب "فاطمة" مختلفا عن حاله الآن فأمه "باية" تتذكر "ظهوره أول مرة في حياته حليق اللحية يعبق بالطيب واضعا ربطة عنق، متخذًا تسريحة شعر جديدة"⁽²⁾.

وفي حاضر السرد يبدو على وجهه الهم و التعب، فما عاد يهتم بخلق "لحيته التي انقضت عليها بضعة أيام ،يرتدي سترة جلدية قديمة وسروالا من نوع جينس"⁽³⁾ .

وفي حاضر السرد أصابه الهزال وغزا الشيب رأسه، وبدا وجهه مهموما مكفهرًا، فهذه "فاطمة" زوجته تريد مصالحته فتكشف عن التغيير الذي طال جسده فقالت له: "انه هزل كثيرا وشاب رأسه، ويحسن به أن يغير وتيرة حياته، وأن يهتم بنفسه، وأن يأكل أكلا جيدا، وأن ينام نوما عميقا وأن يضحك ويبتسم"⁽⁴⁾.

لقد انقلبت أوضاع "دحمان" بعد أن أدمن تعاطي الخمر فلم يعد ذلك الذي عرفه الناس بمظهره وجوهره، بل صار رجلا آخر فترى "عينيه شبه مغمضتين مغلقتين وشفتيه منفرجتين متراخيتين مبتلتين باللعاب والخمر (...). كان مثل كتلة من اللحم والشحم لا قوة فيها ولا حياة"⁽⁵⁾ .

"موهوب": بالنظر في تواتر ورود ذكر شخصية "موهوب" في الرواية نجد هذه الشخصية تذكر ما يقارب أربعًا وعشرين مرة، فنصادف الشخصية منذ انطلاق السرد فينتقل الحكي كلما تحركت هذه الشخصية في الفضاء حتى النهاية تقريبا، تبدو على وجهه من الصورة التذكارية التي أخذت لأفراد أسرته ،في صباه" سذاجة صبيانية وذهول تؤكد عيناها الواسعتان المرعرتان لقد أصبح اليوم رجلا

(1) - إبراهيم سعدي: النخر (رواية)، مصدر سابق ص، 233.

(2) - المصدر نفسه، ص 299.

(3) - المصدر نفسه، ص 36.

(4) - المصدر نفسه، ص، 208.

(5) - المصدر السابق، ص 267.

كامل النمو⁽¹⁾. وهو الآن رجل في السادسة والعشرين من عمره تزوج من "شريفة" وزفت إليه في بداية السرد في يوم عرسه كان يرتدي بدلة رائعة. أخذ الشيب يغزو رأسه نتيجة تردي أوضاع أسرته، خاصة حينما دب الشجار بين أخيه "دحمان" وزوجته "فاطمة" وانحراف "دحمان" ومرض والدته "باية"، فتداعت همومه، وساعت أحواله، وما عاد ينتبه لنفسه وصار ينام بثيابه، فأطلق ذقنه ولم يقيم بحلقه منذ أن سقطت أمه طريحة الفراش⁽²⁾.

ومن الشخصيات التي تعيش خارج البيت وتربطها علاقة بأفراد أسرته نذكر شخصية "الزبير" وهو الابن الأكبر من أبناء "حمو" و"باية"، ويرد ذكره خمس مرات تقريبا في الرواية يعيش مع زوجته وأبنائه في بيته مستقلا عن والدته وأخوته، لكنه قليل الاتصال بأفراد عائلته، في الصورة التذكارية القديمة التي أخذت للعائلة، يظهر رجلا يحمل شاربا وتبدو شفافة مفرعتان، وعيناه صغيرتان، وفمه واسعاً بعض الشيء وقامته طويلة إلى حد أنه - كما رآه موهوب- "يعلو كل المارة بقامته المديدة"⁽³⁾ أما الآن فقد "غزا الشيب رأسه، والغضون مزقت وجهه، فاشتد شبهه بابيهما شبها غريبا لكأن حمو بعينيه عاد إلى الحياة"⁽⁴⁾.

"البشير": وهو ابن عم وصهر أفراد الأسرة، ذلك أنه ابن أخ "حمو" وزوج "زليخة" البنت الوحيدة في العائلة، يزور زوجته وطفله مرة كل ستة أشهر يذكره السرد ما يقارب الخمس مرات يظهر، لمن يراه "رجلا ذا خدين مقعرين وعينين غائرتين وشارب كثيف"⁽⁵⁾.

الخال "بو علام": رجل متقدم في السن تشير الرواية إلى اسمه وما يتعلق بشخصيته ثلاث مرات في ثنايا صفحات متفرقة، من الفصل الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، لا نعثر على صفاته

(1) - المصدر نفسه، 232.

(2) - المصدر نفسه، ص 289.

(3) - المصدر السابق، ص 272.

(4) - المصدر نفسه، ص 272.

(5) - المصدر نفسه، ص 189. *الصواب وشاربا كثيفا.

الخلقية إلا قليلا، بالمقارنة مع صفاته الاجتماعية والنفسية، فهو رجل متقدم في السن ويده خشنة ذات عروق بارزة⁽¹⁾.

وفي رواية "فتاوى زمن الموت" نجد الشخصيات الآتية :

"زربوط": يمثل دورا فاعلا في الرواية منذ انطلاقتها حتى نهايتها، أطلق عليه أصحابه من الأطفال هذه الكنية لقصر قامته وكثرة حركته. وهذا الاسم بمحليته يعبر عن سرعة الحركة واسمه الحقيقي هو "سليمان بن إبراهيم". أضحى بعد أن غزت موجة التقوى والورع الحي والبلاد يتميز بـ "الجبة والشاشية البيضاءويتين واللحية الداكنة".⁽²⁾ لقد أطلق لحيته فصارت تغطي رقبته أما نظرتة الماكرة فانقلبت إلى قسوة وحدة مقلقة .

"موسى" (برهان): هو أخو "موح" الراوي يكبره بعامين، فتى هزيل طويل القامة يعاني من مرض مزمن تراه مطرق الرأس رث الثياب.⁽³⁾

"مسعود" (لعبيدي): شاب طويل القامة، له شارب يجعله "يبدو أكبر من سنه الحقيقي".⁽⁴⁾

"عنتر": واسمه الحقيقي "صالح أو لبصير" ورد ذكر هذه الشخصية عشر مرات مما أحصيته وهو شاب أسمر أمرد أعرج، عيناه صغيرتان وشفثاه غليظتان.

"موح" (الراوي): لا نكاد نعثر عن وصف يحدد مظهر الشخصية إلا قليلا، وهذا راجع إلى أن الشخصية تهتم بوصف باقي الشخصيات، و من البديهي أن لا تصف ذاتها لسبب هو أنها معروفة من وجهة نظرها، ونجد وصف "خوخة" لـ"موح" في مذكراتها إذ تقول عنه بأنه: "متوسط القامة ونحيل الجسم"⁽⁵⁾.

(1) - ينظر: المصدر نفسه ص، 141، 125.

(2) - إبراهيم سعدي: فتاوى زمن الموت (رواية) ، مصدر سابق ، ص، 89.

(3) - ينظر: المصدر السابق، ص 72 .

(4) - المصدر نفسه ، ص، 39.

(5) المصدر نفسه ، ص111.

الباب الثاني /الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

"بو راسين" : في أول ظهور له في الحي كان الرجل بلحية كثيفة طويلة، في رأسه و رم كبير في الجهة اليسرى من جبهته، وتعلو رأسه قبة من الشعر الأجدد، ويرتدي ملابس وسخة واسعة مهترئة يمشي معتمدا على عكاز ،أما كلامه فمضحك لصدوره من خيشومة.

وبعد مدة تغير مظهر "بو راسين" فقص شعره، وحلق لحيته وارتدى بدلة قديمة ونظيفة، ووضع ربطة عنق، كما استغنى عن العصا التي كان يتوكأ عليها، كل شيء تغير فيه إلا ذلك الورم المنتصب على جبهته كالقرن وذاكرته التي لم تسترجع منها أي ذكرى.(1)

الملازم "بدر الدين" : ورد ذكره مرتين،وهو رجل أمن في الأربعين من عمره،أصلع يحمل نظارات رؤية،له وجه منهك ضامر وشارب أسود كثيف يخفي شفته العليا. (2)

الشيخ "عبود" : يتقدم في الملفوظ الروائي بلحية وشعر طويلين يلبس جبة بيضاء دائما يمشي في الجنائز دائم الذكر ووعظ الناس.

وفي رواية "بحثا عن آمال الغبريني" تتميز الشخصيات الرجالية بمظاهر خارجية وكما يلي:

"وناس خضراوي" : يرد في السرد بعدة أسماء فهو "وناس خضراوي"،وهو "مصطفى نوري" وهو "الأستاذ"،وهو "الغريب" في لعبة الإخفاء والتجلي،يشد انتباه المسرود له في كل مرة يرد ذكره،ومهما يكن فإن "وناس خضراوي" رجل طويل القامة نحيل الجسد ضعيف البصر،لأجل ذلك يضع نظارة رؤية بيضاء،في وجهه سمرة،لا تراه إلا حزينا وقلقا،ومع أنه ليس رجلا وسيما،لكنه يتمتع ببعض الجمال الروحي الذي منحه القبول.(3).

(1) - ينظر: المصدر نفسه، ص89،88.

(2) - ينظر : المصدر نفسه ،ص121.

(3) - ينظر : إبراهيم سعدي :بحثا عن آمال الغبريني، مصدر سابق ، ص 15،21،49،62،79،110.

الباب الثاني /الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

"المهدي المغراني" : يذكر له السرد أيضا عدة أسماء: "المهدي المغراني" "الحراشي" "الهارب" هو رجل في حوالي الثلاثين من العمر، لا يذكر أشياء أخرى عن مظهره الخارجي، لكنه يذكر الكثير عن وضعه الاجتماعي والنفسي.

"موح الشريف": شاب جعلته وظيفته في مصلحة الاستقبال بالفندق يبدو دائما أنيق المظهر ببذلته الرمادية، وقميصه الأبيض، وربطة عنقه البنية ذات الخطوط الحمراء المائلة⁽¹⁾، أما وجهه فدائم الحلق، وشعر رأسه قصير أسود اللون بتسريحة صارمة. ⁽²⁾ يصاب "موح الشريف" بداء "الايذر" فتعتل صحته، ويمكنه في المستشفى "فلم يعد قادرا على تحريك أعضائه تقريبا، كان وجهه قد نهشه الضعف والمرض"⁽³⁾.

"موديبو براراتوري": رجل إفريقي أسود البشرة من "مالي"، بدين يرتدي لباسه الوطني ممثلا في جبة زرقاء واسعة لامعة، ويضع على رأسه "شاشية" مزركشة له صوت جهوري أجش" وتعرفه من خلال تكلمه بالفرنسية ولكنه إفريقي"⁽⁴⁾، وهو الذي نقل رسالة "وناس خضراوي" الأخيرة لـ"المهدي" وأخبره بموته.

وفي رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" نجد الشخصيات الرجالية ترد عبر ذاكرة شخصية صاحب المذكرات (الدكتور الحاج منصور نعمان) ،وهو الشخصية الرئيسة يتواتر ذكرها بكثرة بين الماضي والحاضر على امتداد الرواية، كما يرد ذكر شخصيات أخرى لها علاقة به وذلك كما يلي:

"منصور": طفل في الثانية عشر من عمره لكنه بملامح الرجال فقد ظهر الشعر على شاربيه وساقيه واخشوشن صوته. ومنصور في المرحلة الثانوية ما عاد بنفس المظهر الغريب الذي طرأ على

(1) - المصدر نفسه، ص 63.

(2) - ينظر: المصدر نفسه ، ص 123.

(3) - المصدر نفسه ، ص 234.

(4) - ينظر : المصدر السابق، ص 7، 8، 106.

الباب الثاني / الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

طفولته لأنه صار بالفعل رجلا، و تغير كثيرا ف"صار شابا طويلا وله شارب"⁽¹⁾، وفي السنة النهائية يخلق شاربه، لأنه جعله يبدو أكبر سنا، مما جعله أكبر المتدرسين في الثانوية عمرا، بل أكثر سنا من بعض أساتذته أحيانا. وجسمه كثيف الشعر وأذنه اليسرى ناقصة الشحمة بسبب إطلاق زوج "حورية" (رجل الأمن) الرصاص عليه بعدما باغته في بيته مع زوجته.

اثر قتل أبيه لأمه، عاد إلى الجزائر، وساعت أحواله، فهزل جسمه، وأطلق شعر رأسه ولحيته يقول: "صرت أحمل تلك اللحية الطويلة السوداء التي لم تفارق وجهي إلى آخر يوم في حياتي"⁽²⁾ ويتقدمه في السن، خالط الشيب شعر رأسه ولحيته وصار شيئا تؤلمه رجلاه ولا يقدر على الجري والركض"⁽³⁾.

"عبد اللطيف": هو شاب مراهق يدرس في القسم النهائي، صار يلبس قميصا طويلا أبيض ويضع فوق رأسه شاشية بيضاء، أما لحيته فكانت سوداء بادية الطول وينتمي إلى حزب إسلامي. لقد صار وحشا آدميا ف"عيناه اللتان صارتا كعينيني حيوان مفترس (...). لم تعد لهما علاقة بعيون البشر"⁽⁴⁾.

"حميد رمان": كهل يرتدي لباسا بسيطا باليا، كان في العادة "يرتدي سروال جنس قديم باهت اللون مع قميص تأكل عنقه."⁽⁵⁾ تراه غاضا للطرف ولا يرفع بصره عن الأرض. "جمال بقة": رجل أسمر حلق الوجه حلقا صارما ودقيقا له صوت مبجوح.

"فارح قادري": رجل أصلع أخذ الشيب يغزو ما بقي من شعر رأسه، يده اليسرى مشلولة. هؤلاء جميعا كانوا ضحية عمل إرهابي مدير يقول "الحاج منصور نعمان": "انفجار مهول هز المقهى يوم

(1) - إبراهيم سعدي : بوح الرجل القادم من الظلام (رواية)، مصدر سابق، ص44.

(2) - المصدر نفسه، ص217.

(3) - ينظر: المصدر نفسه، ص150.71.

(4) - المصدر السابق، ص325.

(5) - المصدر نفسه، ص271.

الباب الثاني / الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

ذاك (...). رفعت صخرة كبيرة هوت على الفيلسوف "حميد رمان"، فرأيت وجهه ممسوخا، مسحوقا كما لو أن دبابة مرت عليه، جثة الشاعر "فراح قادري" المفصول رأسه عن رقبتة أو يكاد، أبصرتها محمولة من طرف ثلاثة أشخاص، جسم الصحفي "جمال بقة" لم يعثر على كامل أعضائه كلهم ماتوا في ذلك اليوم"⁽¹⁾.

"صالح الغمري": لا يقدم لنا السرد في البداية صورة مظهره بعد تجاوز الشخصية مرحله الطفولة ويزودنا بصورة عنه حينما يتصل "صالح الغمري" بـ"منصور" في بيته، كان يرتدي سروالا بنيا عريضا، على وجهه مسحة جد فيها غلالة حزن وبعض الكآبة، صار خافض البصر على غير عادته أصابعه طويلة مشعرة.

"سعيد الحفناوي": له وجه تملؤه السكينة، تجاوزت لحيته الطويلة عنقه، وقد نزل شعر رأسه إلى كتفيه، كان جسده بادي النحافة طويل القامة "كان شعر رأسه طويلا مثل لحيته وهو يمشي ماسكا بيده عكازا قديما ناظرا بهدوء وعمق (...). كان يبدو كنبوي من أنبياء الله، الناس ظلوا يقتربون منه ويلمسون قندورته البالية المرقعة في أكثر من موضع"⁽²⁾، أما نظرتة فكانت وديعة تستجلي الغريب والبعيد، الماضي والمستقبل، والظاهر والباطن، فكم يتمنى المرء أن يرافقه ويلازمه.

"الهاشمي سليمان": رجل أصم أبكم له لحية وشعر طويلان أسودان، وعيناه كبيرتان سوداوان قليل الابتسام، عندما هدده الجماعات بالقتل حلق لحيته وقصر شعر رأسه.

في آخر الرواية يعثر على مخطوط المذكرات بعدما انقضت سنوات المأساة الوطنية سنوات قليلة ويتصل بالناشر لينشرها له بعد دعوته من أوروبا، ويظهر بشعر طويل ولحية كثيفة وكان يرتدي سروالا قديما من الجنس ومعطفا جلديا باليا.

2-1-2- النساء

(1) - المصدر نفسه، ص280.

(2) - المصدر السابق، ص321.

"ماري:عجوز فرنسية أرملة الجندي "برنار"القتيل في حرب التحرير الجزائرية في الجزائر يرسم لنا السرد الروائي الملامح الجسمية لهذه المرأة،فهي ضعيفة السمع،جميلة العينين،شقراء الشعر"⁽¹⁾. يبدو وجهها لكل من يراه صامتا كتوما،ومع ذلك فإنه يظهر لمن يراه طافحا بالهدوء والسكينة⁽²⁾.

"كاترين المومس": لها دور في حركات السرد وتمفصلاته،وهي امرأة متقدمة في السن،تفضل اسم "كاتي" على اسم "كاترين"،وعمرها ثمانية وأربعون سنة،تخفي تجاعيد وجهها بالمساحيق، ليس في وجهها ما يذكر بجمال سابق،تدخن وترتدي معطف فرو،وتحمل حقيبة يد سوداء⁽³⁾.

وما تجب الإشارة إليه هو أن هذه الشخصيات وصفت ملامحها الجسمية،وهذا لأن لها دورا وظيفيا فاعلا في تمفصلات السرد،وبالتالي في إنجاز البرامج السردية كما سبق ذكره.

"السيدة سوزان":مسيرة المبنى الذي يقيم فيه "أحمد"،هي امرأة طويلة عريضة لها عينان زرقاوان وشفتان ممثلتان⁽⁴⁾.

بالنظر في رواية "النخر" فقد تبين أن شخصية "فاطمة" قد استقطبت كل الحوادث،بل إنها هي التي صنعتها بطموحها ومعارضتها لكل من في البيت،مما أدى إلى انتشار النخر في كيانه،ولابد أن نكوّن صورة تامة عن تلك المرأة في ماضيها وحاضرها ونبدأ أولا كالعادة بمنظرها الخارجي باعتباره أول علامة نصادفها.

بتواتر ذكر "فاطمة" ما يقارب ثلاثا وخمسين مرة، مما يؤكد دورها في صنع الحوادث و"فاطمة" هذه في الماضي كما تخبرنا عن نفسها ومن خلال صورتها التذكارية وقبل زواجها من "دحمان"، فتاة شديدة الجمال،كانت تجلب الانتباه أينما حلت،وهي في الثالثة عشرة من عمرها "لقد كانت

(1) - ينظر إبراهيم سعدي : المرفوضون (رواية)، مصدر سابق ،ص 17،49،52.

(2) - ينظر: المصدر نفسه ، ص88.

(3) - ينظر:المصدر نفسه ،ص،113،114.

(4) - ينظر:المصدر السابق،ص،103.

جميلة غاية في الجمال تثير الحسد في نفوس الفتيات والإعجاب في نفوس الفتیان. (1) وبشرتها شديدة البياض وشعرها أسود فاحم، وهذه صورتها قبل زواجها وهي "في سن الثامنة عشرة ظهرت مرتدية فستانا أبيض اللون يتناسق شكله مع قوامها المشقوق الفتى يضيق عند صدرها المتأهب (...مرفوعة الرأس قليلا...)، كل شيء فيها كان يوحي بالثقة والقوة والجمال والأنوثة والحيوية." (2) لقد فعل الزمان بها فعله.

أما في حاضر السرد فلها من العمر تسع وعشرون سنة وصارت، أما لستة أبناء، ورأت قد بدأ "الانكماش ينال من وجهها ونضارتها ووجنتيها خاملتين مرتختين شيئاً ما خاليتين من ألقهما (...)"، كما نظرت إلى صدرها فإذا بها تجد ثدييها ذابلين هزيلين. (3)

صارت "فاطمة" تعتمد عدم الاهتمام بمظهرها حتى لا ينعم به زوجها "دحمان"، فتوبها واسع مهلهل و"شريفة" العروس لن تنسى ذلك الوجه الطافح بالمقت تلك النظرة المليئة بالعداوة، أجل إنها هي نفسها بفسطانها العريض المبرقش وبشعرها الفاحم غير الممشوط" (4). لقد حاولت "فاطمة" التمتع بما بقي من شبابها فعمدت إلى تغيير مظهرها، لأنها رأت في ذلك إهدارا لحقها في الحياة قبل أن تسيء لزوجها فتحرمه التمتع، خاصة وأنه هجرها، فهاهي قد تجملت له و"كانت واقفة بجانبه بكامل زينتها وبهائها وحسنها." (5) ورغم إعراض "دحمان" عنها فقد واطبت "فاطمة" على الظهور بمظهرها الجديد والخروج به إلى المدينة، التي منعت منها طيلة الزواج عشر سنوات وهي "ترتدي لباسا أنيقا، وتنتعل حذاء ذا كعب عال مصفوفة الشعر بعناية ودقة" (6).

(1) - إبراهيم سعدي: النخر (رواية)، مصدر سابق، ص، 82.

(2) - المصدر نفسه، ص 206.

(3) - المصدر نفسه، ص 206.

(4) - المصدر السابق، ص 31.

(5) - المصدر نفسه، ص 208..

(6) - المصدر نفسه، ص 239.

"شريفة": العروس زوجة "موهوب" ورد ذكرها في السرد ما يقارب العشرين مرة هي "شريفة" بنت الحسين" من عائلة مرابطية "شريفة" لها من العمر سبع عشرة سنة، ووجهها صبياني أسمر جميل محبوب تضع خمارا على شعرها الفاحم الطويل، كما أنها حامل من زوجها "موهوب" تقول لـ"فاطمة" وهي تخاصمها: "صحيح أنك أجمل مني... لكني جميلة أنا أيضا ولا أزال صغيرة في السن... وإن كان لديك ذرية فأنا بدوري حامل".⁽¹⁾

"باية": وهي زوجة "حمو" أم الأبناء و"زليخة" من عائلة شريفة مرابطية "كما أخبرت، ورد ذكرها في الرواية ما يقارب اثنتين وثلاثين مرة، توزعت بين الماضي والحاضر هي " امرأة قصيرة القامة هزيلة الجسم، تحتجب عن الناس عند خروجها باللحاف والعجار".⁽²⁾ كما تضع منديلا على رأسها، وفي الآونة الأخيرة فقدت سنين من أسنانها. من الصورة التذكارية للأسرة تبدو "باية" شابة جميلة وديعة "لا غضون في وجهها ولا صرامة في عينيها يلوح شبهها بزليخة واضحا".⁽³⁾ ترتدي "باية" عادة الزي المحلي القبائلي، فستانها ذو حواش زاهية شددت " عليه عند بطنها بحزامها الوحيد المصنوع من بلاستيك أحمر اللون"⁽⁴⁾، وتحمل في معصمها "أساورها الفضية منذ أربعين سنة"⁽⁵⁾، ووجهها وقور معبر عن هدوئها وحنانها فيه نظرة خفية فيها بعض الحزن.⁽⁶⁾

"علجية": وهي زوجة "عبد القادر" وابنة "فروجة" المغتصبة من الجنود الفرنسيين، يرد ذكرها في السرد عشرين مرة متناثرة في الرواية، في العادة تضع على رأسها منديلا وترتدي ثوبا قبائليا زاهي الألوان. تزوجت وعمرها ست عشرة سنة وفي حاضر السرد عمرها واحد وعشرون سنة هي شديدة

(1) - المصدر نفسه، ص 269.

(2) - المصدر نفسه، ص 87.

(3) - المصدر السابق، ص 232.

(4) - المصدر نفسه، ص 171.

(5) - المصدر نفسه، ص 45.

(6) - ينظر: المصدر نفسه ، ص 164.

الجمال لها "شعر أصفر يشبه لون الشعير".⁽¹⁾ و"عيناها زرقاوان ووجهها شاحب اللون حافل بالهموم"⁽²⁾

"زليخة": وهي ابنة "باية" الوحيدة يرد ذكرها في الرواية ما قدرته بسبع عشرة مرة موزعة بين استرجاع طفولتها ورصد حاضرها، تبدو شديدة الشبه بأماها باية " كأني أرى باية وقد عاد إليها شبابها"⁽³⁾ وتضع على رأسها منديلا زاهيا تخفي به شعرها الطويل الفاحم، هي جميلة رشيقة خجولة في طفولتها، تمشي خافضة الرأس، ومن الصورة التذكارية للعائلة تظهر ك"دمية صغيرة باسمه الوجه"⁽⁴⁾ . بحضور زوجها "البشير" مرة كل ستة أشهر أقدمت على التبرج وما كانت تجرؤ على ذلك في غيابه وفي حضرة أخويها "دحمان" و"موهوب"، فها هي "تخلع ثوبها المنزلي اليومي الواسع، فترتدي بدلا منه فستانا من فساتينها الجميلة، ثم تضع الكحل على عينيها وأحمر الشفاه على ثغرها، ثم تضح نفسها بالطيب"⁽⁵⁾.

"شابحة": هي زوجة "بو علام" زوج "فروجة" المتوفاة ورد ذكرها في الرواية ست مرات إنها امرأة بدينة، وجهها عريض ممتلئ موشم، وعيناها صغيرتان لامعتان تبدو لمن يراها عدوانية لعبوسها و شدة مراسها وبأسها⁽⁶⁾.

"وحيدة": هي امرأة مومس يذكرها السرد ست مرات تقريبا لعلاقة "دحمان" المنحرف بها بعد نشوز زوجته "فاطمة" وإعراضهما عن بعضهما، و"وحيدة" هي مثال للمرأة والجمال. امرأة ذات جسد رشيق وعيناها كبيرتان مسودتان تصدر عنهما نظرة عميقة حانية، بوجهها علامات الغضب والخيبة مجتمعة، وصوتها رقيق تتكلم بالفرنسية وبالعربية الدارجة، تدخن وترتدي فستانا طويلا رقيقا أسود

(1) - المصدر نفسه ص 149.

(2) - المصدر نفسه، ص 41.

(3) - المصدر نفسه، ص 178

(4) - المصدر نفسه، ص 233.

(5) - المصدر السابق، ص، 189.

(6) - ينظر: إبراهيم سعدي: النخر (رواية)، المصدر السابق ، ص، 149، 134، 126، 125.

لامعا⁽¹⁾ ، ولكنها اعتزلت الرذيلة فلبست لباسا محتشما فحاطت رأسها بفوطة زاهية الألوان عقدتها عند رقبتها كما تذررت بفستان طويل أخضر اللون ... فلقد تركت حياة الفساد⁽²⁾.

وفي رواية "فتاوى زمن الموت" تجد:

"خوخة" : فتاة سمراء على وجهها مسحة جدية لا ترتدي الحجاب كما شاع في الحي،

تذهب كل صباح للعمل وتعود مساء، وكان من عاداتها أن تسير من غير أن تلتفت يمينا أو شمالا بل أمامها فقط⁽³⁾.

"آمال الغبريني": غائبة بأفعالها لكنها حاضرة في السرد بذكرها باعتبارها مبحوثا عنها و "آمال" شابة جميلة في مقتبل العمر تبدو لمن يراها فتاة من البلاد "الاسكندنافية" بشعرها الأشقر وقامتها الطويلة وعيناها الزرقاوان ووجهها الأبيض البديع الجمال.

قبل زواجها من "بو جمعة" كانت تظهر بملابسها الأوروبية، وبعد زواجها منه، وهو العضو في الجبهة الإسلامية - صارت ترتدي الحجاب⁽⁴⁾.

"ليليانا": يصفها السرد بالدمية لها من العمر تسعة عشر عاما فيقول عنها "المهدي": "دمية سمراء متفجرة الجسم عارية الفخذين متوهجة العينين"⁽⁵⁾ ، كانت حينما رآها المهدي أول مرة في بيت "مماو" حافية القدمين ترتدي خرقة بالية، أما وقد انتقلت لتعيش حياتها الجديدة، بائعة هوى في فندق الجنوب- بعدما دبر لها مالكاها "مويدبو براراتوري" تلك الحياة - صارت تبدو سيدة متميزة في مظهرها فالقد صبغت شفتيها بمرهم رمادي، وارتدت قميصا أبيض شفافا مزخرفا عند

(1) - ينظر: المصدر نفسه، ص59.

(2) - المصدر نفسه ، ص255.

(3) - إبراهيم سعدي : فتاوى زمن الموت ، مصدر سابق ، ص،95.

(4) ينظر: بحثا عن آمال الغبريني : مصدر سابق ، ص16، 24، 30، 129، 151.

(5) - المصدر نفسه، ص220.

الباب الثاني /الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

الصدر، وتنتورة، تكشف عن الركبتين، وانتعلت حذائين عالي الكعب، وكان يتدلى من أذنيها قرطان دائريان كبيران، وتمسك سيجارة بين أصابعها وتعبق بالطيب"⁽¹⁾.

وبعد أن عرضت السمات المظهرية للرجال والنساء في الروايات فإن أهم ما يمكن أن أخلص إليه في هذا الفصل هو:

• يتم تقديم صورة الشخصية بمكوناتها البصرية، ويكون هذا في العادة عند ظهور الشخصية أول مرة، لكن "إبراهيم سعدي" لا يعتمد على هذا في الغالب، ويلجأ إلى رسم الشخصية في مظهر خلقي أو اجتماعي مدحا أو قدحا وقد يكون الوصف تبعا للتغيرات التي تعترى الشخصية عند قيامها بالفعل أو تأثيرها به .

• يمثل المظهر الخارجي للشخصية وموقعها الاجتماعي نزوعها النفسي ورؤيتها للحياة وكثيرا ما يعتمد السارد على هذا الأسلوب في تصوير الشخصية.

• الشخصية الروائية تتقدم كشخصية حقيقية، و الشخصيات في الروايات من كيان المجتمع تتحاور وتصارح لأجل موقعها ومصحتها، ونجد في الروايات شخصيات أخرى أجهد الروائي نفسه أحيانا في تشكيلها، إلا أنها لا تؤدي دورا في بناء الحوادث، و في الروايات استطراد وذكر حوادث وشخصيات لا فائدة منها كما أرى في البناء الروائي. وأعتقد أنها كانت أصواتا اجتماعية تؤدي دورها في إبراز الوضع السائد والكشف عن المظهر العام للفضاء الذي تجري فيه الحوادث.

• إن الوصف الخارجي المظهري للشخصيات عند "إبراهيم سعدي" هيكلية أحيانا فيكتفي بتسميتها بدون التطرق إلى مقوماتها وسماتها المظهرية في أغلب الأحيان، فتكون من غير وصف، أو يكون الوصف عاما من غير تفصيل، فيقدم الخطوط العريضة والملاح العامة للشخصية بسبب انشغال الشخصية الواصفة بأمر أخرى.

(1) - المصدر نفسه، ص225.

الباب الثاني /الفصل الثاني الشخصية كذات: المظهر الخارجي

• السارد حاضر في جل حوادث الروايات، مع اختلاف في هيئة حضوره، بين حاضر مشاهد أو حاضر مشارك أو راوي عليم؛ لذلك أجد السرد يميل في مجمله إلى وصف المادي لما يدركه البصر، ويسمى المدركات بأسمائها، وقد يتدخل السارد للتوضيح والتفسير، ولربط الحوادث وتبرير سلوك الشخصية، وبذلك يسهم في فك التشفير، كيلا يسود التباس وغموض بحد من شفافية الخطاب .

• يميل السارد إلى تنويع وجهة النظر في الروايات حتى يفلت من أحادية الرؤية، وبذلك يسند الرؤية إلى شخصيات أخرى، وإن كانت تصدر أخبارها عنه، كما يقدم خطابات أخرى كالخطاب الاجتماعي والتاريخي الذي يرصد نمط الحياة الاجتماعية في فترة معينة عاشها الناس في الجزائر .